# السوسيولسانيات: مفاهيم وقضايا

د. عبد الحفيظ اشريطية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب
والعلوم الإنسانية سايس – فاس
المغرب

**الملخص:**

يقدم البحث دراسة معمقة في مجال اللسانيات الاجتماعية التي تعنى بدراسة اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية تتفاعل مع مختلف العوامل الإنسانية والثقافية والسياسية. يركز البحث على تحليل العلاقة التبادلية بين اللغة والمجتمع، مبينا أن اللغة ليست مجرد نظام صوتي وصرفي ومعجمي، بل؛ هي متأثرة بالسياق الاجتماعي الذي تحكمه وتعكس الهوية والانتماء والتفاعلات الاجتماعية للأفراد. يتناول البحث موضوعات مهمة مثل التغير اللغوي التعدد اللغوي وتحويل الشفرة والتخطيط اللغوي والازدواجية اللغوية مشيرا الى اهمية هذه الظواهر في فهم كيفية تطور اللغة وتأثيرها في المجتمعات المختلفة. كما يؤكد البحث على دور اللسانيات الاجتماعية في رسم سياسات لغوية تدعم التنوع الثقافي وتعزيز العدالة التعليمية والتفاهم بين الثقافات، مع إبراز ارتباطها الوثيق بمجالات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي.

**Abstract**:

The study presents an in-depth investigation in the field of sociolinguistics, which examines language as a social phenomenon that interacts with various human, cultural, and political factors. It focuses on analyzing the reciprocal relationship between language and society, demonstrating that language is not merely a system of sounds, morphology, and vocabulary; rather, it is shaped by the social context that governs it and reflects individuals' identity, affiliation, and social interactions.

The study addresses important themes such as linguistic change, multilingualism, code-switching, language planning, and diglossia, highlighting the significance of these phenomena in understanding how language evolves and how it influences different societies. It also emphasizes the role of sociolinguistics in shaping language policies that support cultural diversity, promote educational equity, and foster intercultural understanding, while underscoring its close connection to the fields of sociology, anthropology, and social psychology.

**مقدمة:**

انطلقت اللسانيات الاجتماعية (Sociolinguistics) في تحليلها للغة من كونها ظاهرة اجتماعية تتلازم – حتميا – مع مختلف الظواهر الإنسانية والحقول المعرفية التي ترتبط بها، وإذا كان التحليل اللغوي التقليدي قد اهتم بما هو تركيبي وصرفي وصوتي ومعجمي، واعتنى برصد الخصائص المميزة لِلُغة من أخرى، فإن اللسانيات الاجتماعية اشتغلت على تحليل اللغة دون الانعزال بها أو تجريدها من محيطها الاجتماعي الذي يحكمها، كما أنها لم تنظر إلى اللغة باعتبارها كيانا مستقلا، تُدرس في ذاتها ومن أجل ذاتها، بل ربطتها بسياقها الاجتماعي الذي أنتجها وأثّر فيها وتأثر بها.

## 1. مفهوم اللسانيات الاجتماعية

اللغة عبارة عن نظام تحكمه مجموعة من القوانين لا يمكن اختزالها فيما هو صوتي وصرفي ومعجمي وتركيبي، فهي وإن كانت تؤدي دورا تواصليا بناء على رموزها، فإن ارتباطها بالأفراد والجماعات يجعلها خاضعة لظروفهم الاجتماعية والنفسية والسياسية، تتأثر بها وتؤثر فيها. يؤكد السوسيولسانيون "أن العلاقات بين الظواهر اللغوية والظواهر الاجتماعية، وتأثر اللغة بالعادات والتقاليد والنظام الاجتماعي في زمان ومكان معينين، هي مسائل قائمة منذ أن وجدت اللغة ووجدت الحياة الاجتماعية، فجوهر الإنسان إنما يكمن في لغته وحياته الاجتماعية. والنظر في هذه العلاقات قديم بلا ريب، غير أنه لم يستو كمّا ونوعا وتنظيرا ومنهجا إلا في العصر الحديث، في ظل علم جديد من علوم اللغة، أُطلق عليه (علم الاجتماع اللغوي)، أو (اللسانيات الاجتماعية)"[1]. ولتفادي وصف نظام اللغة بالجمود، دعت آنابيل موني Annabelle Mooney إلى ضرورة توضيح نوع القواعد التي تخضع لها اللغة، وقالت: "إن الأمر لا يشبه خضوع المجتمع للقوانين التي تنظمه، فاللغويون لا يقررون القواعد ثم يأمرون المتكلمين باتباعها، بل إنهم ينظرون إلى اللغة بهدف الكشف عن قواعدها التي تمكنها من أداء وظيفتها التواصلية"[2].

وحسب جانيت هولمس Janet Holmes فإن اللسانيات الاجتماعية تدرس العلاقة بين اللغة والمجتمع عن طريق البحث في الأسباب التي تجعلنا نتكلم بشكل مختلف في سياقات اجتماعية مختلفة، أي إنها تسعى إلى تحديد الوظائف الاجتماعية للغة، والطرق التي تُستعمل بها للتعبير عن مضامين اجتماعية، الأمر الذي سيوفر ثروة من المعلومات عن كيفية عمل اللغة، فضلا عن رصد طبيعة العلاقات الاجتماعية، والطريقة التي يعبر بها الناس عن جوانب هويتهم الاجتماعية من خلال لغتهم.[3]

ويشير رونالد وردهاف Ronald Wardhaugh إلى أن اللسانيات الاجتماعية تحلل ثنائية اللغة والمجتمع وفق ثلاث علاقات، تتمثل الأولى في أن البنية الاجتماعية هي ما يحدّد البنية اللغوية ويؤثر فيها، ومن أوضح الأمثلة في هذه العلاقة، الفرق بين الأطفال والمراهقين في أسلوب الحديث. فقد بيّنت مجموعة من الدراسات ذات الطابع السوسيولوجي أن اللغة تعكس أصل المتحدّث ومكانته الاجتماعية، وربما عرقه وجنسه. أما العلاقة الثانية، فهي مخالفة للأولى، إذ إن البنية اللغوية هي ما يحدد البنية الاجتماعية. وعلى هذا الأساس بنى وورف Whorf نظريته التي تربط اللغة بالفكر. وهناك علاقة ثالثة تحكم ثنائية اللغة والمجتمع، وهي أن التأثير يكون متبادلا بين الطرفين، وهو الرأي الذي طرحه ديتمار Dittmar 1976م حين قال: إن السلوك النطقي والسلوك الاجتماعي في حالة تفاعل لا متناهية[4].

---

1 هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب. الجامعة المستنصرية، الطبعة الأولى 1408 هـ / 1988 م. ص 9.

2 Annabelle Mooney, What is Language ? 1st chapter in "Language, Society and Power". Third edition 2011. Published by Routledge in the USA and CANADA. P 8.

3 Janet Holmes, AN INTRODUCTION TO SOCIOLINGUISTICS. Routledge, New York – USA. Fourth edition 2013. P 1.

4 Ronald Wardhaugh, An Introduction to Sociolinguistics. Blackwell Publishing UK. Fifth edition 2006. P 10.

ويعرف اللغوي البريطاني ديفيد كريستال David Crystal اللسانيات الاجتماعية بأنها علم يدرس كافة نواحي العلاقة بين اللغة والمجتمع، وأنها تركز على قضايا محددة، من قبيل، الهوية اللغوية للجماعات الاجتماعية، والميول الاجتماعية نحو اللغة، والأشكال اللغوية النموذجية/القياسية وغير النموذجية/غير القياسية، ونماذج استعمال اللغة القومية وأغراضها، إضافة إلى التنوعات الاجتماعية للغة ومستوياتها، والأسس الاجتماعية للتعددية اللغوية. أما علم اجتماع اللغة فإنه يهتم بالتفسيرات الاجتماعية.[5] وإذا كان رومان جاكوبسون *Roman Jakobson* قد اعتبر علم اجتماع اللغة جزءا لا يتجزأ من اللسانيات، فقد نظر فيشمان Jushua Fishman ومعاونوه إلى علم اجتماع اللغة واللسانيات الاجتماعية "باعتبارهما علمين مترادفين، على الرغم من أن فيشمان كان يحدد أحيانا علم اجتماع اللغة بوصفه لسانيات اجتماعية مندرجة في آفاق علم الاجتماع"[6].

ويشير كريستال إلى أن ثمة تقاطعا بين مصطلح اللسانيات الاجتماعية ومصطلح اللسانيات الأنثروبولوجية ( Anthropological Linguistics) وكذلك مصطلح اللسانيات الإثنولوجية (Ethnolinguistics) الذي عرّفه بأنه فرع يقوم بدراسة اللغة من حيث علاقتها بالأنماط والسلوكات العرقية. أما اللسانيات الأنثروبولوجية فهي تبحث في تغير اللغة واستخدامها بالنسبة للأنماط والمعتقدات الثقافية الإنسانية، وذلك باستخدام نظريات ومناهج الأنثروبولوجيا. فهو على سبيل المثال يبحث الطريقة التي تتطابق فيها الملامح اللغوية لعضو ما داخل جماعة لغوية معينة، مع مجموعة اجتماعية أخرى. ويتقارب مفهوم اللسانيات الاجتماعية مع اللسانيات الأنثروبولوجية لما يربطهما من امتدادات واهتمامات مشتركة بكل من الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع[7].

أما بالنسبة لجاك ريتشاردز Jack Richards فإنه يفرق بين اللسانيات الاجتماعية وعلم اجتماع اللغة بناء على أمور عدة، أبرزها، أن اللسانيات الاجتماعية تقوم بدراسة اللغة في علاقتها بالعوامل الاجتماعية، ويضعها في قسمين:

**أولا**: اللسانيات الاجتماعية الدقيقة (Microsociolinguistics) : وتدرس أفعال الكلام (Speech Acts) وأحداث الكلام (Speech Events) والأقوال المتعاقبة (Sequencing Utterances)، وأيضا تلك البحوث التي تتعلق بالتنوع الذي يحدث في اللغة المستعملة من قبل الجماعة اللغوية.

**ثانيا**: اللسانيات الاجتماعية الكلية (Macrosociolinguistics): وتدرس المجتمعات ثنائية اللغة (Diglossia)، أو متعددة اللغة، والتخطيط اللغوي (Language Planning) والسلوكات اللغوية (Language Attitudes).

ويؤكد جاك ريتشاردز أن هذه الموضوعات من الممكن أن تُدرس ضمن اللسانيات الاجتماعية، وهي في الوقت نفسه تعدّ إحدى الموضوعات المتناولة في مجال علم اجتماع اللغة وعلم النفس الاجتماعي للغة (Social Psychology of Language). أما بالنسبة لعلم اجتماع اللغة فيرتبط بمجموعة من الموضوعات من قبيل الخيار اللغوي (Language Choice) والثنائية اللغوية (Bilingual) والتعدد اللغوي (Multilingual) والتخطيط اللغوي والتحول اللغوي (Language Shift). ومن هنا يستنتج ريتشارد أن اللسانيات الاجتماعية الكلية مصطلح ينضوي تحت مفهوم علم اجتماع اللغة[8].

---

5 David CRYSTAL. A DICTIONARY OF LINGUISTICS AND PHONETICS. Sixth Edition 2008. Blackwell Publishing. Pp 440-441.

6 جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية. ترجمة خليل أحمد خليل. دار الطليعة بيروت . لبنان. الطبعة الأولى أكتوبر 1990. ص 22.

7 David CRYSTAL. A DICTIONARY OF LINGUISTICS AND PHONETICS. Sixth Edition 2008. Blackwell Publishing. P 441.

8 Jack C. Richards and Richard Schmidt, Longman Dictionary of LANGUAGE TEACHING AND APPLIED LINGUISTICS. Pearson Education Limited. Third edition published 2002, P 494.

ومما يبين الفرق بين اللسانيات الاجتماعية الدقيقة واللسانيات الاجتماعية الكلية التي تبنيناها في هذا البحث، يذكر محمد الأمين مومين "أن الأولى تركز على الخصوصيات اللغوية والأسلوبية التي تميز تفاعل الفرد الواحد مع أفراد مجتمعه في سياقات اجتماعية متعددة، أما الثانية فتتناول بالدرس مقارنة الخصوصيات اللغوية التي تنفرد بها بعض المجموعات الجهوية أو العرقية أو الاجتماعية دون غيرها. وتدرس بالإضافة إلى ذلك بعض الظواهر اللغوية التي لها طابع وطني، كظاهرة وجود لغتين أو أكثر في البلد الواحد مثل الحالة اللغوية بالمغرب (استعمال اللغة العربية الفصيحة والدارجة واللغة الأمازيغية والفرنسية، بالإضافة إلى الإسبانية في بعض المناطق). كما تهتم اللسانيات الاجتماعية الكلية بالقضايا ذات الطابع السياسي، كمسألة التخطيط اللغوي الذي يدخل في إطاره ما أُطلق عليه منذ الستينات بدول شمال إفريقيا مشكل التعريب. ويتضح من كل ذلك، أن للسانيات الاجتماعية الكلية صلة وثيقة بعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم السياسة، في حين ترتبط اللسانيات الاجتماعية الدقيقة بعلم النفس بصفة عامة، وبعلم النفس الاجتماعي بصفة خاصة"[9].

ورغم أن التمييز بين المقاربتين يبدو واضحا على المستوى النظري، يؤكد محمد الأمين "أنه يصعب في بعض الأحيان ضبط الحد الفاصل بينهما لتبيان مدى الترابط المتبادل بين المقاربتين. نأخذ على سبيل المثال دراسة ظاهرة الانتقال من لغة إلى أخرى في نفس سياق الحديث الواحد (تغير الشفرة)، فوصف وتحليل هذا السلوك اللغوي لدى مجموعة من الأفراد كل على حدة (ميكروسوسيولسانيات) يصل بالسوسيولساني إلى إبداء بعض التعميمات حول المجتمع ككل (ماكروسوسيولسانيات) لأن هذه الظاهرة تأتي نتيجة لوجود لغتين أو أكثر داخل مجتمع ما".
[10]

من جهته، ربط فلوريان غولماس *Florian* Coulmas الدرس السوسيولساني بتحليل الترابطات بين استعمال اللغة والبنية الاجتماعية، ويختلف هذا، في نظره، عن التخصصات الأخرى التي تهتم باللغة، وعلى الخصوص، عما يُسمّى أحيانا باللسانيات المستقلة أو اللسانيات النظرية (Theoretical linguistics)، وعن اللسانيات النفسية (Psycholinguistics) واللسانيات العصبية (Neurolinguistics) التي تهتم تباعا بالذهن البشري، وباكتساب الفرد للغة واستعماله لها، وبالجهاز البيولوجي لتخزين اللغة ومعالجتها.[11]

وتهتم السوسيولسانيات حسب كولماس "بوصف الاستعمال اللغوي باعتباره ظاهرة اجتماعية. وعندما يكون ذلك ممكنا، تحاول إقامة روابط سببية بين اللغة والمجتمع، مواصلة بذلك الأسئلة التكميلية حول أي لغة تسهم في جعل المجموعة ممكنة، وكيف تشكل المجموعات لغاتها عبر استعمالها لها. وبما أن السوسيولسانيات هي أرضية مشتركة للغويين وعلماء الاجتماع، والذين يحاول بعضهم فهم المظاهر الاجتماعية للغة، بينما يهتم الآخرون بالمظاهر اللغوية للمجتمع، فإنه ليس من المفاجئ أن تتفرع إلى سوسيولسانيات دقيقة تشتغل على اللغة وسوسيولسانيات كلية يشتغل عليها علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعيون، مع العلم أن كلا البعدين ضروري من أجل فهم كامل للغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية"[12].

إن اللسانيات الاجتماعية، وعلى اختلاف فروعها وامتداداتها، فإنها لا تخرج عن ثنائية اللغة والمجتمع، وفي ظل هذه الثنائية تتحدد أهدافها وموضوعاتها. فهي حسب محمد عفيف، "ترصد أبعاد العلاقة وأشكالها المختلفة التي تظهر في تعدد المستويات اللغوية في المجتمع الواحد أو تعدد اللغات واللهجات، ترصد هذه المستويات أو اللهجات أو اللغات وتحدد المجتمعات التي تستخدمها، سواء أكانت هذه الجماعات عرقية أم دينية أم مهنية أم طبقية، كما تهتم في هذا الإطار بالتخطيط اللغوي الذي يعالج قضايا كثيرة مثل تقرير النظام الكتابي واختيار اللغات الرسمية

9 محمد الأمين مومين، مقدمات في السوسيولسانيات: التأويل الاجتماعي للغة. مجلة بصمات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء العدد الأول 2009 م. ص 156.

10 نفسه ص 156.

11 فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات. ترجمة خالد الأشهب وماجدولين النهيبي. نشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت ـ لبنان، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الأولى، دجنبر 2009م. ص 14.

12 نفسه. ص 14.

وأساليب المحافظة عليها وتطويرها، إلى جانب ذلك، تهتم اللسانيات الاجتماعية بدراسة التباين الاجتماعي الذي يظهر واضحا في المجتمع اللغوي ويسجل الفروق اللغوية الموجودة بين طبقات المجتمع المختلفة، كما ترصد التحول أو الانتقال الاجتماعي من طبقة لأخرى، وأثر ذلك في الأشكال اللغوية التي يختارها أفراد تلك الطبقة. ولتحقيق ذلك، تضع اللسانيات الاجتماعية في الاعتبار معاني الكلمات ودلالاتها من خلال سياقها الاجتماعي، ومواقف قائليها ومكانتهم في الطبقة الاجتماعية"[13].

ومما تهتم به اللسانيات الاجتماعية أيضا، "دراسة محظور الكلام أو الكلمات المحظورة (Tabooed Words) والتعبيرات الاصطلاحية وظاهرة الاقتراض اللغوي (Linguistic Borrowing) فكل هذه الظواهر ترتبط بالمجتمع أو بالجماعة اللغوية ارتباطا وثيقا، كما أن استعمال اللغة يخضع لقواعد واعتبارات اجتماعية تختلف من مجتمع لآخر. بالإضافة إلى ذلك، تدرس اللسانيات الاجتماعية العوامل الاجتماعية التي تحكم الاستعمالات اللغوية المختلفة بين الأفراد، ومنها على سبيل المثال، العلاقات المحددة بين المشاركين في الحديث، وأسلوب التخاطب، والمكانة الاجتماعية لكل منهم، والأدوار الاجتماعية التي يقومون بأدائها وهدف المحادثة وموضوعها وآداب الحديث وما إلى ذلك"[14].

## 2. موضوع اللسانيات الاجتماعية

اخترت أن أتحدث في هذا البحث عن بعض الموضوعات التي ميزت البحث السوسيولساني، وأسهمت بحق في فهم اللغة، ليس باعتبارها ذاتا مستقلة، وإنما في إطارها الاجتماعي، حيث تتفاعل مع الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والنفسية للأفراد والجماعات، ومن هذه الموضوعات:

### 1.2. مفهوم التغيّر اللغوي Language Change:

يذكر فلوريان كولماس "أن هناك توجها شائعا في البحث السوسيولساني يركز على التغير اللغوي، ويعتبرُ بعضُ العلماء الأكثر تأثيرا في المجال أن المهمة الخاصة للسوسيولسانيات هي التنبؤ بالتغير اللغوي. ورغم ارتكازها على افتراضات تختلف كثيرا من حيث التفاصيل، يمكن تلخيص عمل السوسيولسانيات في الإشكالات التالية: ما هي أسباب وآليات التغير اللغوي؟ لماذا يُحتفظ ببعض التمايزات بينما تضيع أخرى؟ ما هي القوى التي تقاوم التغير اللغوي؟ ما هي المبادئ الأساسية التي تجعل تنبؤات التغير ممكنة؟ هذه هي الأسئلة التي يتم التعامل معها في هذا المجال من علم السوسيولسانيات"[15]. ومن أبرز الأمثلة التي توضح مفهوم التغير اللغوي، ذلك الذي ورد في تعريف ريتشارد هدسون Richard Hudson الذي قال فيه: "التغير اللغوي هو مجمل الاختلافات القائمة بين لغة أكبر الأجيال وأصغرها سنا، فعندما يموت الجيل القديم بأكمله لا تبقى غير الصيغ اللغوية التي يستخدمها أصغر الأجيال سنا"[16].

يربط فلوريان البحث حول التغير اللغوي بالبحث في التنوع اللغوي. مؤكدا أنه "غالبا ما يقع الاثنان تحت العنوان نفسه، باعتبار التغير التاريخي ضربا من التنوع. ومن بين الأسئلة التي طرحها في إطار هذا الربط ما يأتي: ما هو التنوع اللغوي؟ وماذا يتضمن بالنسبة إلى تصورنا لما هو لغة؟ ما هي الخصائص الاجتماعية ذات الصلة بالموضوع ولها وزن في التنوع اللغوي؟ كيف تتفاعل التنوعات الزمنية والجهوية والاجتماعية

13 محمد عفيف الدين دمياطي، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي. مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، مالنج. إندونيسيا. الطبعة الثانية، 2017م. 1438هـ. ص 10.

14 محمد عفيف الدين دمياطي، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي. مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، مالنج. إندونيسيا. الطبعة الثانية، 2017م. 1438هـ. ص. ص 10- 11.

15 فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات. ترجمة خالد الأشهب وماجدولين النهيبي. نشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت. لبنان، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الأولى، دجنبر 2009م ص 24.

16 ريتشارد هدسون، علم اللغة الاجتماعي. ترجمة محمود عياد. عالم الكتب، القاهرة. مصر. الطبعة الثانية 1990. ص 19.

مع بعضها؟ يضيف فلوريان إلى هذه الموضوعات، قضايا أكثر خصوصية حول التنوع، تشكّل موضوعًا لثلاث متغيرات أخرى هي: اللهجة والجنس والسِّن"[17].

### 2.2. مفهوم التعدد اللغوي Multilingual:

يعرّف مايكل كلين MICHAEL CLYNE مصطلح التعدد اللغوي بأنه امتلاك الفرد الكفاءة في أكثر من لغة، أو الوضع اللغوي المتعدد في مجتمع ما. فإذا تعلق الأمر بالفرد، فغالبا ما يتم تصنيف هذا التعدد ضمن ثنائية اللغة، وإن ما يبرر هذا التصنيف، هو أن ثنائيي اللغة في العالم أكثر بكثير من أحاديي اللغة، في حين يقل المتكلمون الذين يستعملون أكثر من لغتين بشكل معتاد. وسواء تعلق الأمر بثنائية لغوية أو تعدد لغوي فإن الأمر يتطلب أن تكون كفاءة المتكلم متساوية في جميع اللغات التي يستعملها، أو أن يكون قد اكتسب هذه اللغات بشكل متزامن، وله القدرة على استعمالها في السياق نفسه، وهذا، في الغالب، غير ممكن، الأمر الذي يدعو، في نظر مايكل كلين، إلى تحري الدقة في اختيار المصطلح الذي يصف هذا الوضع اللغوي، عند الفرد والجماعة[18].

وقد ربط فلوريان نشأة التعدد اللغوي بمجموعة من السياقات الاجتماعية، كالهجرة والاستعمار وتأثير الحدود الدولية، إضافة إلى ما يعرف بـ جزر اللغة (Sprachinseln)، ومن أمثلة ذلك، الأراضي الإثنولغوية الحبيسة أو الأراضي المستحاطة. ولم يغفل فلوريان الإشارة إلى دور انتشار اللغات العالمية في توسيع دائرة التعدد اللغوي لما لها من مكاسب سياسية واقتصادية وعلمية[19].

وفي علاقة ظاهرة التعدد اللغوي بالسلطة، وحضور الوضع اللغوي التعددي داخل الدولة ومؤسساتها، أكد فيشمان "أن الدولة يمكن أن تُطبّع مع الوضع اللغوي المتعدد، لكن ذلك لا يعني أن الطبقات الاجتماعية التي ترتبط بالدولة، ستكون قادرة على فرض لغتها على الجميع، وإلا أدى ذلك إلى تخلخل شبه كامل في الوضع اللغوي التعددي، تخلخل سيفضي على المدى البعيد أو القريب نسبيا، إلى تبدل اللغات، وإلى أحادية لغوية جديدة. فانقلاب ميزان القوى بين الطبقات والجماعات الاجتماعية كفيل بأن يغير، في هذه الحالة، ما أسماه فاينريخ Weinrich (القدر الخارجي للغات الخاسرة)"[20].

### 3.2. مفهوم تحويل الشفرة (Code-Switching):

يشير هذا المصطلح حسب شانا بوبلاك Shana Poplack إلى خلط ثنائيي اللغة أو متعددي اللغات بين لغتين أو أكثر، وغالبا ما يحدث ذلك دون تغيير المحاور أو موضوع الحوار.[21] وقد أوضح ريتشارد هدسون Richard Hudson هذا الأمر عندما تحدث عن المتكلم الواحد الذي يستخدم أكثر من نوعية واحدة في أوقات مختلفة معتبرا ذلك، نتيجة تلقائية لوجود العديد من (سجلات السياق)، لأن المتحدث قد يستخدم بالضرورة سجلات مختلفة في مواقف مختلفة. ولإيضاح هذا المفهوم أورد هيدسون المثال التالي عن بلوم وجمبرز Blom and Gumpers، يقول: "لاحظنا خلال صبح أمضيناه في مكتب إدارة الجماعة، أن الموظفين يستخدمون تعبيرات من كل من اللغة المتواضع عليها ومن اللهجة المحلية أيضا، ويعتمد ذلك في المقام الأول على ما إذا كانوا يتحدثون عن مسائل رسمية أم لا. كذلك، عندما يتقدّم

17 فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات. ترجمة خالد الأشهب وماجدولين النهيبي. نشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت . لبنان، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الأولى، دجنبر 2009م ص 24.

18 CLYNE MICHAEL. "Multilingualism." The Handbook of Sociolinguistics. Coulmas, Florian. Blackwell Publishing, 1998. P 204.

19 فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات. ترجمة خالد الأشهب وماجدولين النهيبي. نشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت . لبنان، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الأولى، دجنبر 2009م ص 651.

20 جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية. ترجمة خليل أحمد خليل. دار الطليعة بيروت . لبنان. الطبعة الأولى أكتوبر 1990. ص 140-141.

21 Shana Poplack, Code Switching : Linguistic. International Encyclopedia of the Social and Behavioral Sciences. Elsevier Science. December 2001. Pp 2062-2065.

بعض المواطنين بطلبات للموظفين، فإن التحيات والاستفسار عن صحة أسرة المواطن عادة ما تكون باللهجة المحلية، بينما يجري الجزء الرسمي من التعامل باللغة المتواضع عليها"[22].

ينطلق هدسون من هذا المثال ويؤكد أن المتكلمين يملكون القدرة على التحكم في المعايير التي تتحكم بدورها في النوعيات المستخدمة، وذلك بالأسلوب نفسه الذي يتحكم به المتكلمون بمعاني الكلمات عند استخدامها استخداما مجازيا، وذلك شيء يعرفه الجميع من خبرتهم اليومية، ولكنه يستحق أن يُذكر صراحة في كتاب عن نظرية علم اللغة الاجتماعي، لأنه يساعدنا على تجنّب النظر إلى المتحدثين على أنهم آلات لغوية اجتماعية ذاتية الحركة، لا تستطيع التحدث إلا في إطار الحدود التي تحددها المعايير الاجتماعية[23].

### 4.2. مفهوم التخطيط اللغوي/الألسني:

حدد هوجن Haugen مفهوم التخطيط اللغوي بأنه "النشاط الذي يقوم بتحضير إملاء وقواعد ومعاجم نموذجية لتوجيه الكتاب والمتكلمين في مجتمع لغوي غير متماسك. وفي هذا التطبيق العملي للمعرفة الألسنية، يتعدّى عملنا الألسنية الوصفية ليشمل مجالا تجب فيه ممارسة الأحكام في شكل اختيارات لغوية بين الأشكال اللغوية المتوافرة. فالتخطيط يستتبع محاولة توجيه تطوّر اللغة في الاتجاه الذي يرغب فيه المخططون. وهذا لا يعني التكهّن بالمستقبل على ضوء أسس المعرفة المتوافرة بالنسبة للماضي، إنما يعني المسعى الواعي للتأثير عليه"[24].

وفي حديثه عن التخطيط اللغوي، أكد ميشال زكريا أنه "نشاط يتم خلاله وضع الأهداف، واختيار الوسائل، والتكهن بالنتائج، بصورة واضحة ومنظمة. ويضيف ميشال زكريا أن التخطيط الألسني يتركز على المشكلات اللغوية من خلال اتخاذ القرار بالنسبة إلى الأهداف البديلة والخيارات لإيجاد الحلول في ما يتعلق بهذه المشكلات. وقد تتسع لائحة المشكلات وتعترض بلدانا كثيرة. نذكر منها القضايا التالية:

**أ** – وضع المقاييس للكتابة الصحيحة وللكلام الجيد

**ب** – ملاءمة اللغة باعتبارها وسيلة تعبير للشعب الذي يستعملها

**ج** – قدرة اللغة على أن تكون أداة الإبداع الفكري والعلمي

**د** – عدم القدرة على التفاهم بين المجتمعات اللغوية المتنوعة ضمن الدولة الواحدة

**هـ** – اختيار لغة التعليم

**و** – ترجمة الأعمال الأدبية

**ز** – اعتماد اللغة المناسبة للتبادل العلمي

**ح** – رفع أو وضع القيود على الاستعمال اللغوي في بعض المجتمعات

**ط** – التنافس بين اللهجات والارتقاء بلهجة إلى مرتبة اللغة الرسمية

**ي** – المحافظة على التوازن بين مصلحة الدولة ومصلحة الأفراد في المجال اللغوي"[25].

---

22 ريتشارد هدسون، علم اللغة الاجتماعي. ترجمة محمود عياد. عالم الكتب، القاهرة ـ مصر. الطبعة الثانية 1990 ص 92- 93.

23 نفسه. ص 93.

24 ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقاربة تراثية. دار العلم للملايين بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى يناير 1993. ص 10 .

25 نفسه. ص 11.

ولتحقيق ذلك، يؤكد ميشال زكريا على ضرورة دراسة الاحتياجات والأهداف والوسائل، ووضع خطط العمل وتقييمها، والالتزام بالخيار المناسب، وتنفيذ الخطط، ومراقبة النتائج. لذلك، ينبغي على المسؤول عن التخطيط أن يُلمّ بقضايا اللغة في المجتمع قبل بدء عمله، وأن يتحرّى عن المشاكل الألسنية، وأن يدرس العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والتربوية التي تتداخل مع المسألة اللغوية في المجتمع. فالقرار الواجب اتخاذه في هذا المجال، هو قرار لساني أو سوسيولساني يتفاعل مع القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية. وبعد اتخاذ القرار، لا بد من توضيح الخطط لإقناع المعنيين بتقبّلها وجدواها وفعاليتها، وذلك من أجل تعاون الجميع لتحقيقها[26].

كما تحدث داوست Daoust عن مفهوم التخطيط اللغوي معتبرا إياه قسما من الأقسام التطبيقية في السوسيولسانيات، مبينا أهميته في فهم العلاقات المعقدة بين اللغة والمجتمع فهما مضبوطا، لكونه "يرتبط بالتدخّل الإداري المقصود في وضعية اللغة. وليس للفروع الأخرى من العلوم اللغوية إلا القليل لتقوله في هذا الباب، واللسانيات النظرية هي في الوقت نفسه عاجزة عن تناول هذا الموضوع، لأنه يتداخل مع نقاط انطلاقها المتمثلة في بناء اللغة "الطبيعية". ومع ذلك يبقى التخطيط اللغوي مجالا مشتركا أكثر مما نعتقد، فهو يتناول قضايا مثل (كتابة اللغات) و (معيرة اللغة)، بالإضافة إلى تطوير المعجم، وتحديد وظيفية اللغات داخل المجتمع"[27].

### 5.2. مفهوم الازدواجية اللغوية:

لاحظ فرجسون أن الأشكال اللغوية في المجتمعات نوعان، النوع الأول يكون عادة على شكل لهجة فصحى تسمّى الشكل اللغوي الأعلى (High Variety)، أما النوع الثاني فيأخذ شكل اللهجة العامية، ويسمى الشكل اللغوي الأدنى (Low Variety)[28]. من هذه الملاحظة انطلق فرجسون معرفا الازدواجية اللغوية بأنها وضع لغوي ثابت نسبيا، يكون فيه – بالإضافة إلى اللهجات الأولية للغة التي يمكن أن تحوي لهجة قياسية أو لهجات قياسية إقليمية – ضربٌ لغويٌ غايةٌ في التشعب والتركيب والتصنيف، يكون هو الأداة لنقل حجم كبير ومعتبر من التراث العلمي المكتوب، إما في فترة مبكرة أو في مجتمع لغوي آخر، وغالبا ما يُتعلّم هذا الضرب بواسطة التعليم النظامي ويُستخدم في معظم الأغراض الكتابية والخطابية الرسمية، ولكنه لا يُستخدم بواسطة أي قطاع من قطاعات المجتمع في المحادثات المعتادة. أما فيشمان فينظر إلى الازدواجية اللغوية على أنها الأنموذج الذي تتميّز فيه ثقافة واحدة بلغتين أو أكثر، وتستخدم كلا منها لأغراض خاصة جدا[29].

وفي تعليق أولي على هذين التعريفين، يؤكد محمد عفيف أن المقصود بالازدواجية اللغوية هو "وجود أكثر من مستويين للغة في مجتمع واحد، مستوى رسمي أو فصيح، ومستوى غير رسمي أو عامي أو دارج، بحيث يُستخدم كل مستوى لأغراض وأهداف معينة. وخير ما يمثل هذه الظاهرة، حال اللغة العربية الفصيحة بجوار عدد من اللهجات العربية بالوطن العربي في العصر الحاضر"[30].

يصدق هذا التعليق، فقط، على ما أورده فرجسون حول ازدواجية اللغة حين قال بتعدد مستويات اللغة الواحدة ولم يقل بتعدد اللغات. أما بالنسبة لفيشمان فقد برر استخدام لغات مختلفة في المجتمع الواحد والعمل على المحافظة عليها، بكون بعض هذه اللغات تخدم وظائف محددة مختلفة عن الوظائف التي تعتبر مناسبة للغة الأخرى. فلكل لغة من هذه اللغات استخدام معين، وهذا ما يقود إلى المحافظة عليها. كما أن كل لغة من هذه اللغات مرتبطة بمجموعة من القيم أو الاتجاهات التي تختلف عن قيم واتجاهات اللغات الأخرى، وهذه المجموعات من القيم والاتجاهات لا تكون متضاربة فيما بينها، ولكنها على العكس من ذلك، يتمم بعضها بعضا، والانفصال بين هذه اللغات يكون انفصالا

---

26 ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقاربة تراثية. دار العلم للملايين بيروت . لبنان. الطبعة الأولى يناير 1993. ص 13.

27 فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات. ترجمة خالد الأشهب وماجدولين النهيبي. نشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت . لبنان، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الأولى، دجنبر 2009م. ص 32 . 33.

28 إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة، النظرية والتطبيق. مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض . السعودية. الطبعة الأولى 1417هـ . 1996م. ص 19.

29 محمد عفيف الدين دمياطي، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي. مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، مالنج . إندونيسيا. الطبعة الثانية، 2017م . 1438هـ.ص 72.

30 نفسه. ص72- 73.

وظيفيا. فاللغة العليا تكون مرتبطة بالوظائف الدينية والتعليمية ومظاهر الحضارة العليا المختلفة، أما اللغة الدنيا فإنها تخدم وظيفة التحدّث اليومي وما يرتبط بها[31].

يظهر إذن، أنه مهما حاولنا التمييز بين هذه الموضوعات اللغوية وهذه التفرعات السوسيولسانية، فإنها تظل، في عمقها، مرتبطة بذلك التعالق الحتمي بين اللغة والمجتمع، تتداخل فيما بينها ويكمل بعضها بعضا. فلا يمكن أن نتحدث – مثلا – عن موضوع التعدد اللغوي دون إثارة موضوع التخطيط اللغوي، كما لا يمكن الحديث عن الثنائية اللغوية في انفصال تام عن تحويل الشفرة، وهكذا.

**خاتمة:**

اللسانيات الاجتماعية إذن هي علم يهتم بدراسة اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية ارتبطت نشأتها وتطورها بالمجتمع، فحيثما كان المجتمع كانت اللغة وحيثما كانت اللغة كان المجتمع كما قال جون جاك روسو، إذ لا يمكن – بأي شكل – أن نتصور المجتمع الإنساني، أو وجود فرد يرتبط اجتماعيا بغيره أو وجود بناءات اجتماعية بدون لغة. ذلك أن اللغة تساعد على تنشئة وعي الفرد وتشكيله الاجتماعي بصورة قوية. فعن طريق اللغة يكتسب الفرد صلته بالثقافة، ومن ثمة بالمجتمع الذي يعيش فيه بصفته مجموعة من السلوكيات والمعاني، وعن طريق الوسيلة اللغوية ذاتها، تنتقل الأساليب المعرفية في مجال المجتمع وطبقاته.

كانت للسانيات الاجتماعية نتائج علمية دقيقة، فبالإضافة إلى الكشف عن التعالق الحاصل بين اللغة من جهة وباقي العوامل الاجتماعية من قبيل الثقافة والهوية والجنس والطبقة الاجتماعية والجغرافيا...إلخ، تسهم اللسانيات الاجتماعية فيما يلي:

- المساعدة في رسم سياسات لغوية تحترم الخصوصيات الثقافية وتدعم التنوع،
- تحقيق العدالة التعليمية،
- تعزيز التفاهم بين الثقافات،
- تحديد وظائف اللغات،
- العمل على التكيف مع التحديات الثقافية الراهنة التي تفرضها العولمة.

31 إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة، النظرية والتطبيق. مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض. السعودية. الطبعة الأولى 1417هـ. 1996م. ص 85- 86.

**لائحة المصادر والمراجع:**


- Annabelle Mooney, What is Language ? 1st chapter in "Language, Society and Power". Third edition 2011. Published by Routledge in the USA and CANADA.
- CLYNE MICHAEL. "Multilingualism." The Handbook of Sociolinguistics. Coulmas, Florian. Blackwell Publishing, 1998.
- David CRYSTAL. A DICTIONARY OF LINGUISTICS AND PHONETICS. Sixth Edition 2008. Blackwell Publishing.
- Jack C. Richards and Richard Schmidt, Longman Dictionary of LANGUAGE TEACHING AND APPLIED LINGUISTICS. Pearson Education Limited. Third edition published 2002,
- Janet Holmes, AN INTRODUCTION TO SOCIOLINGUISTICS. Routledge, New York – USA. Fourth edition 2013.
- Ronald Wardhaugh, An Introduction to Sociolinguistics. Blackwell Publishing UK. Fifth edition 2006.
- Shana Poplack, Code Switching : Linguistic. International Encyclopedia of the Social and Behavioral Sciences. Elsevier Science. December 2001.
- إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة، النظرية والتطبيق. مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض . السعودية. الطبعة الأولى 1417هـ . 1996م.
- جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية. ترجمة خليل أحمد خليل. دار الطليعة بيروت . لبنان. الطبعة الأولى أكتوبر 1990.
- ريتشارد هدسون، علم اللغة الاجتماعي. ترجمة محمود عياد. عالم الكتب، القاهرة . مصر. الطبعة الثانية 1990.
- فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات. ترجمة خالد الأشهب وماجدولين النهيبي. نشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت . لبنان، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الأولى، دجنبر 2009م.
- محمد الأمين مومين، مقدمات في السوسيولسانيات: التأويل الاجتماعي للغة. مجلة بصمات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء العدد الأول 2009 م.
- محمد عفيف الدين دمياطي، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي. مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، مالنج . إندونيسيا. الطبعة الثانية، 2017م . 1438هـ. .
- ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقاربة تراثية. دار العلم للملايين بيروت . لبنان. الطبعة الأولى يناير 1993.
- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب. الجامعة المستنصرية، الطبعة الأولى 1408 هـ / 1988 م.